قصيدة الهجاء في المفضليات
مقاربة سياقية

دكتورة/ غادة جميل قرني محمد يوسف
أستاذ الأدب العربي القديم المساعد
قسم الدراسات الأدبية
كلية دار العلوم، جامعة المنيا
جمهورية مصر العربية

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معاينة قصيدة الهجاء في منتخب المفضليات، ويعد الهجاء من الأغراض الشعرية الرئيسة التي تناولها الشاعر العربي القديم، وقد تناول "المفضل الضبي" في منتخبه قصائد متنوعة للهجاء، وسوف تعمد هذه الدراسة إلى فحص نصوص الهجاء في المفضليات ودراستها سياقيًا، أي فحصها تاريخيًا واجتماعيًا ونفسيًا. ومن خلال معاينة فاحصة لقصيدة الهجاء في المفضليات يمكن تصنيف قصيدة الهجاء تحت مسارين رئيسين، الأول منهما وهو خاص بقصائد يعد الهجاء موضوعها الأساسي، أو بالأحرى يكون الهجاء غرضها الوحيد أما المسار الآخر فهو خاص بقصائد متعددة الأغراض، ويعد الهجاء غرضًا من أغراضها، أو يكون الهجاء أحد أغراضها.

الكلمات المفاتيح:

قصيدة الهجاء، الشعر العربي القديم، المفضليات، العنوان.

Satire Poem in Mufaddaliyat
Contextual Approach

Ghada Jamil Qurani Muhammad Yussif
Associate Professor of Classical Arabic Literature
Department of Literary Studies, Faculty of Dar Al Ulum,
Minia University, Egypt..

Abstract:

This study aims to examine the poem of Satire in the Mufaddaliyat selection. Satire is one of the main poetic purposes dealt with by the Classical Arab poet. "Al-Mufaddal al-Dhabi" dealt with various poems for Satire. This study will examine the texts of Satire in the Mufaddaliyat and study them contextually, that is, examining them historically, socially and psychologically. Through a close examination of the Satire poem in Mufaddaliyat, the Satire poem can be categorized under two main tracks, the first of which is specific to poems for which Satire is the main subject, while the other track is specific to multi-purpose poems, and Satire is one of its purposes.

Keywords:

Satire Poem, Classical Arabic Poetry, Mufaddaliyat, Title.

(١)

يعد الهجاء أحد فنون الشعر العربي، كما شكَّل فن الهجاء غرضًا بارزًا من أغراض الشعر العربي القديم بصفة عامة والشعر الجاهلي بصفة خاصة، وضعه النقاد القدماء ضمن أغراض الشعر الرئيسة[١]. وفن الهجاء هو: "أدبٌ غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار والاستهزاء، وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق والمذاهب"[٢]. والهجاء في "لسان العرب" لـ "ابن منظور" من: "هجا هجَاهُ يَهْجُوهُ، وهجاءً وتهْجَاءً، ممدود شتمه بالشعر، وهو خلاف المدح، قال الليث: هو الوقيعة في الأشعار"[٣]؛ ويشير "الزبيدي" في "تاج العروس" إلى أن الهجاء من: "هجاه هجوا وهجاء ككساء: شتمه بالشعر، وعدد فيه معايبه، وهو مجاز. قال الليث: هو الوقيعة في الأشعار... والمرأة تهجو زوجها، أي: تذم صحبته، نقله الجوهري، وفي التهذيب: تهجو صحبة زوجها، أي: تذمها، وتشكو صحبته"[٤]. ومن المجاز، كما يشير الزمخشري في أساس البلاغة: "وفلان يهجو فلانًا، هِجاءً: يعدد معايبه، وهو هَجّاء.... والمرأة تهجو زوجها هجاء قبيحًا: إذا ذمت صحبته وعددت عيوبه. وهو على هِجاء فلان: على مقداره في الطول والشكل"[٥].

ولا يبتعد المعنى اللغوي للهجاء، الذي يحمل معاني السب والقذف والشتم، وذكر العيوب والمساوئ، عن الممارسة الشعرية للهجاء التي تحمل فنون الشتم والسباب، وهو نقيض المدح، "فقد يكون الهجاء بمعناه الأدبي مأخوذًا من الضفدع، فهو قبيح الشكل بشع الصوت. وقد يكون مأخوذًا من اشتداد الحر ففيه معنى التنكيل والتعذيب. وقد يكون مأخوذًا من الأصل اليائي فهو يكشف عن سيئات المهجو. ولعل الهجاء بمعنى تعديد حروف الكلمة مأخوذ من المعنى الأخير. فالذي يعدد حروف الكلمة يكشف عنها كما

(١) راجع على سبيل المثال:

– ابن جعفر، أبو الفرج قدامة (بدون تاريخ)، نقد الشعر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي (لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٩١.

– العسكري، أبو هلال (١٩٩٤)، ديوان المعاني، شرحه وضبط نصه: أحمد حسن بسج، الجزء الأول، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٩١.

– ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي (١٩٨١)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وعلق حواشيه وفصله: محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الثاني، الطبعة الخامسة (لبنان، بيروت: دار الجيل)، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) حسين، محمد (١٩٤٧)، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الآداب بالجماميز)، ص ١٢.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٥٥، ١٩٥٦)، لسان العرب، المجلد الخامس عشر (لبنان، بيروت: دار صادر)، مادة هجا، ص ٣٥٣.

(٤) الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني (٢٠٠١)، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الأربعون، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، راجعه: عبد اللطيف محمد الخطيب (الكويت: سلسلة التراث العربي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطبعة حكومة الكويت)، مادة هجو، ص ٢٧٩-٢٨١.

(٥) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (١٩٩٨)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الجزء الثاني، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية)، مادة هجو، ص ٣٦٥.

تكشف الريح عما بداخل البيت. معاني المادة على كل حال تدور حول البشاعة والشدة والنكال والكشف، والكلمة مرنة تحتمل الزيادة"[١].

وإن كان الهجاء يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرة السب والشتم والأصوات القبيحة والبشاعة وكشف العيوب والمساوئ في أذهان العرب، فإنه أيضًا، كما يطرح "محمد حسين"، "كان من أكثر فنون الشعر ارتباطًا بالسحر في أوهام العرب، ذلك لأن الخفاء والغموض الذين لازما فن الشعر كانا أليق بالشر وأدنى أن يبعثا الرهبة والخوف في قلوب الناس، فقد كانت العرب تزعم أن لكل شاعر رئيا من الجن يسمونه تابعًا أو هاجسًا، وذلك واضح في قصصهم وفي شعرهم وواضح في القرآن أيضًا"[٢].

ومثلما ارتبط الهجاء بالشتم والسب والسحر اقترن باللعنة الدينية، فالهجاء في الجاهلية "كان لا يزال يُقْرَن بما كانت تقرن به لعانتهم الدينية الأولى من شعائر، ولعلهم من أجل ذلك كانوا يتطيرون منه ويتشاءمون ويحاولون التخلص من أذاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. ونحن نعرف أن الغزو والنهب كان دائرًا بينهم، غير أن المغيرين إن أغاروا ونهبوا إبلًا بينها إبل الشاعر، وتعرض لهم يتوعدهم بالهجاء، اضطروا اضطرارًا إلى ردها أو على الأقل يردون ماله هو وإبله"[٣]؛ وتأسيسًا على ارتباط الهجاء بالسحر والطقوس الدينية، فإن الشاعر الهجَّاء كان يصور نفسه وكأنه كبير الكهان، فكان "إذا أراد الهجاء لبس حلة خاصة، ولعلها كحلل الكهان، وحلق رأسه، وترك له ذؤابتين، ودهن أحد شقي رأسه وانتعل نعلا واحدة"[٤]. ويرد "شوقي ضيف" ما كان يقوم به الشاعر من تغيير في مظهره وملبسه وهيئته إلى: "أن ذلك كان من سننهم في الحج، وكأن شاعر الهجاء كان يتخذ نفس الشعائر التي يصنعها في حجه وأثناء دعائه لربه أو لأربابه، حتى تصيب لعناتُ هجائه خصومه بكل ما يمكن من ألوان الأذى وضروب النحس المستمر"[٥].

ولقد كان وقع الهجاء عند العرب كبيرًا، وذلك ما جعل الجاحظ يقول: "ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء"[٦]؛ لقد كان شعراء الهجاء يرمون

(١) حسين، محمد (١٩٤٧)، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ١٤–١٥.

(٢) السابق، ص ٥٧.

(٣) ضيف، شوقي (١٩٦٠)، العصر الجاهلي، الطبعة الثانية والعشرون (القاهرة: دار المعارف)، ص١٩٧.

(٤) السابق، ص ١٩٧.

(٥) السابق، ص ١٩٧.

(٦) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٩٦٥)، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الجزء الأول، الطبعة الثانية (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي)، ص ٣٦٤.

سهامهم ناحية العامة والخاصة للانتقام منهم من ناحية، وتحقيق مآربهم بحق أو بباطل من ناحية أخرى، فأصبح الهجاء السلاح الذي يستخدمه الشعراء في عداواتهم وخصوماتهم، ولم يتوقف الأمر عند التنديد بالمعايب الشخصية للفرد أو الاحتقار لجماعة معينة من الناس وإنما "تطور ليرتفع عن الأحقاد الشخصية ليطال مشكلات الحياة العامة فكان منه الهجاء السياسي، والهجاء الأخلاقي، والهجاء الديني، والهجاء الخَلقي"(١)؛ ولم تكن مهمة الهجاء في الشعر العربي القديم مهمة سلبية تشيع المعايب وتكشف العيوب والأحقاد الشخصية، وإنما كانت "مهمة الهجاء في ظل الواقع الاجتماعي القبلي مهمة إصلاح وتقويم لأنه (أي الهجاء) وسيلة العلاج، وطريقة دفاع عن الحقيقة التي ترسخت أصولها في الأذهان، وقبل بها الناس أعرافًا متداولة، وقيمًا مشاعة، ومثلًا يحسن الخضوع لها بسبب قدرتها على شد التماسك بين الأفراد وتوثيق الأواصر وتنمية العلاقات، وإن هذه المهمة لم تنحصر في قدرتها على اقتناص الأسباب وحدها أو الترصد الذي يفقد الهدف غايته، وإنما كان اقتناصًا واعيًا، وترصدًا مدركًا"(٢)؛ ويجب الالتفات أيضًا إلى ما طرحه "ابن حمدون" حول الهجاء: "ليس الهجاء دليلًا على إساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به، فما كل مذموم بذميم، ولا كل مَلومٍ بِمُليم، وقد يُهجى الإنسان بهتانًا وظلمًا، أو تقربًا إلى عدو، أو عبثًا، أو إرهابًا لمن يخشى الشاعر سطوته فيجبن عن هجائه"(٣).

(٢)

تعد المفضليات أول منتخب شعري يضم مختارات من قصائد الشعر العربي القديم، وهي "أقدم مجموعة صُنعت في اختيار الشعر العربي، فكان الرواة قبلها يصنعون أشعار القبائل، يضمَّون أَشتاتَ شعر المنتمين إلى قبيلة واحدة، ويجعلون كلا منها كتابًا"(٤). وقد حقق المفضل تفردًا وتميزًا في صنيعه هذا في جمع مختارات الشعر العربي القديم، لكنه "لم يرتبها على أبواب خاصة، ولا قصد أن يجمع الشعر الذي يتناول أغراضًا معينة، وإنما هو اختيار الذوق الأدبي والجزالة اللغوية، فيما تراءى له في ذلك

(١) محمد، سراج الدين (١٩٩٨)، الهجاء في الشعر العربي (لبنان، بيروت: دار الراتب الجامعية)، ص ٨.

(٢) القيسي، نوري حمودي (١٩٨١)، تقويم جديد لظاهرة الهجاء في الشعر العربي قبل الإسلام، مجلة الآداب، مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب جامعة بغداد، العدد ٣٠ (العراق، بغداد: كلية الآداب، جامعة بغداد)، ص ١٠.

(٣) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (١٩٩٦)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عباس وبكر عباس، المجلد الخامس، الطبعة الأولى (بيروت: دار صادر)، ص ٩٢.

(٤) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، الطبعة السادسة (القاهرة: دار المعارف)، المقدمة: ص ٩.

العصر"[١]. أما شعراء هذه الاختيارات فمعظمهم شعراء جاهليون، وقليل منهم مخضرمون، وأقل منهم اسلاميون[٢]. ومن الجدير بالذكر أن هذا الاختيار للمفضليات "صدر عن ثقافة خاصة بصاحبه الذي عُرف بمكانته بين الرواد الأوائل من رواة الشعر والأدب وأيام العرب، فجاء أوثق من روى شعر الأوائل، فهو واسع الثقافة، وافر الحظ منها، صادق الرواية، وقد عُدَّ في المُحْدِّثين وكان ذا خُلق ودين، فقد كان يكتب المصاحف ويقفها على المساجد تكفيرًا عما كتبه بيده من شعر الهجاء"[٣].

تهدف هذه الدراسة إلى معاينة قصيدة الهجاء في منتخب المفضليات، ويعد الهجاء من الأغراض الشعرية الرئيسة التي تناولها الشاعر العربي القديم كما أشرت سلفًا، وقد تناول "المفضل الضبي" في منتخبه قصائد متنوعة للهجاء، وسوف تعمد هذه الدراسة إلى فحص نصوص الهجاء في المفضليات ودراستها سياقيًا، أي فحصها تاريخيًا واجتماعيًا ونفسيًا[٤]. وتجدر الإشارة إلى أن الباحثة قد تعرضت من قبل لدراسة قصيدة الرثاء في المفضليات[٥]، وتنوي الباحثة بعد ذلك دراسة قصيدة المدح، والحكمة، والفخر، وغيرها من الأغراض الرئيسة للشعر العربي القديم في المفضليات.

ومن خلال معاينة فاحصة لقصيدة الهجاء في المفضليات يمكن تصنيف قصيدة الهجاء تحت مسارين رئيسين، الأول منهما وهو خاص بقصائد يعد الهجاء موضوعها الأساسي، أو بالأحرى يكون الهجاء غرضها الوحيد، وهي: مفضلية رقم (١٢) للحصين بن الحمام المري، ومفضلية رقم (٦٣) لعميرة بن جعل، ومفضلية رقم (٧٨) ليزيد بن الخزاق الشني، ومفضلية رقم (٨٦) لراشد بن شهاب اليشكري، ومفضلية رقم (٨٨) للحارث بن ظالم، ومفضلية رقم (٩١) لعامر المحاربي، ومفضلية رقم (١٠٣) لزبان بن سيار بن عمرو المري؛ أما المسار الآخر فهو خاص بقصائد يعد الهجاء غرضًا من أغراضها، وهي: مفضلية رقم (٧) للجميح، ومفضلية رقم (١٥) للمزرد بن ضرار، ومفضلية رقم (١٧) للمزرد بن ضرار[٦]، ومفضلية رقم (٤٠) لسويد بن أبي

(١) هارون، عبد السلام (١٩٦٧)، مقدمة شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القسم الأول، الطبعة الثانية (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)، ص ٦.

(٢) راجع: إسماعيل، عز الدين (١٩٩٤)، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي (القاهرة: مكتبة غريب)، ص ٧٤.

(٣) خليف، مي (١٩٨٩)، القصيدة الجاهلية في المفضليات دراسة موضوعية وفنية (القاهرة: مكتبة غريب)، ص ١١.

(٤) حول النقد السياقي راجع: عروس، محمد (٢٠١٩)، النقد السياقي: أسئلته المنهجية وأسسه الفلسفية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد ٨، عدد ١، رقم العدد التسلسلي ١٦ (الجزئر: جامعة تامنغست).

(٥) راجع: يوسف، غادة جميل قرني محمد (٢٠١٧)، قصيدة الرثاء في المفضليات: قراءة في نماذج مختارة، مجلة الدراسات العربية، العدد الخامس والثلاثون (مصر، المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا).

(٦) تمت دراستها كاملة في بحث لصاحبة الدراسة بعنوان: الثابت والمتحول وقلق العجز والمقاومة، قراءة في لامية المُزَرِّد بن ضِرَار، المؤتمر الدولي الثامن: الثابت والمتغير في العلوم العربية والإسلامية، من ٩ إلى ١١ أكتوبر ٢٠١٧، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

كاهل[١]، ومفضلية رقم (٥٤) للمرقش الأكبر، ومفضلية رقم (٦٤) لعميرة بن جعل، ومفضلية رقم (٧٢) لعبد المسيح بن عسلة.

(٣)

وتبدأ الدراسة بمعاينة مفضليات المسار الأول وتأويلها سياقيًا، التي يعد الهجاء موضوعها الأساسي وغرضها الوحيد، وسوف نرجئ مفضلية رقم (١٢) للحصين بن الحمام المري، لارتباطها بمفضلية رقم (٩١) لعامر المحاربي، وسوف يتم تحليلهما معًا. ونبدأ بتحليل مفضلية رقم (٦٣) لـ "عَمِيرة بْن جُعَل" التي يقول فيها[٢]:

١- **كَسَا اللهُ حيَّي تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ مِنَ اللُّؤْمِ أَظْفَارًا بَطِيئًا نُصُولُها**[٣]

٢- **فما بِهِمُ أَن لا يَكونُوا طَرُوقَةً هِجَانًا ولَكِنْ عَفَّرَتْهَا فُحُولُها**[٤]

٣- **تَرَى الحَاصِنَ الغَرّاءَ مِنْهُمْ لِشَارِفٍ أَخِي سَلَّةٍ قَدْ كانَ مِنْهُ سَلِيلُها**[٥]

٤- **قَلِيلًا تَبَغِّيهَا الفُحُولَةَ غَيْرَهُ إذا اسْتَسْعَلَتْ جِنَّانُ أَرْضٍ وغُولُها**[٦]

٥- **إِذّا ارْتَحَلُوا مِنْ دَار ضَيْمٍ تَعاذَلُوا عَلَيْهِمْ وردُّوا وَفْدَهُمْ يَسْتَقِبلُها**[٧]

قد تتخذ قصيدة الهجاء في المفضليات مسارًا واضحًا من الخصوصية والتميز، وهكذا تكشف هجائية "عميرة بن جعل" كشفًا واعيًا عن اليأس المطبق الذي انتاب الشاعر ودفعه إلى الهجاء الفادح، وذكر "المرزباني" في "معجم الشعراء" أن عميرة: "هو أحد من هجا قومه"[٨]، كما أنه "شاعر جاهلي تغلبي له أشعار حسان، فهو يهجو قومه بني تغلب، ويذكر أنهم لم يؤتوا في لؤمهم من قبل أمهاتهم، إنما أتوا به من قبل آبائهم"[٩]. يلح الشاعر في هجائه لبني تغلب على فكرة النسب الأصيل والحسب الكريم، ويتباهى بأنه معروف النسب بين قومه فهو من سلالة الأصل الطيب، ومن ثم يهجوهم بظاهرة مسروق النسب، وهذا ما أكده استخدامه لعبارة: "أَخِي سَلَّةٍ قَدْ كانَ مِنْهُ سَلِيلُها"، التي

(١) تمت دراستها كاملة في بحث لصاحبة الدراسة بعنوان: ثلاثية السطوع والقوة والفخر في بيتمة سويد بن أبي كاهل، المجلة العلمية لكلية اللغة العربية بأسيوط، العدد الواحد والأربعون، الإصدار الأول: أبريل، الجزء الثاني، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م.

(٢) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٣) نصولها: خروجها من موضعها.

(٤) الطروقة: الناقة بلغت أن يضربها الفحل. الهجان: الخالص الحسب الكريم. عفرتها: ألزقتها بالعفر وهو التراب.

(٥) الحاصن: الكريمة العفيفة. الشارف: الكبير. السلة: السرقة. سليلها: ولدها.

(٦) استسعلت: صارت كالسعلاة، وهي أشد شرارة من الغول والجن.

(٧) تعاذلوا: لام بعضهم بعضًا.

(٨) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٢٠٠٥)، معجم الشعراء، تحقيق: فاروق اسليم، الطبعة الأولى (بيروت: دار صادر)، ص ١٠٣.

(٩) التبريزي، يحيى بن على الخطيب (١٩٨٧)، شرح اختيارات المفضل، تحقيق: فخر الدين قباوة، الجزء الثالث، الطبعة الثانية (لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ١١٤٤.

تحمل معنى: "أن المرأة الشريفة العفيفة تكون تحت زوج لها قد استولدها، ومعنى أخي سلة أي مسروق النسب، والسليل، الولد كأنه سُلَّ من أبيه وأمه"(١). وكأن روح الشاعر تنتفض من استسلامها الطيب المسامح إلى موقف الآنفة والكبرياء الذي يريد أن يكشف عن عظمة الأصل الطيب والسلالة النجيبة، فيهجوهم بأنهم ورثوا اللؤم وقلة الأصل من أمهاتهم ونسبهم المخزي منهم.

وعلى النقيض من نسب الشاعر العريق الذي يبدو قويًا أصيلًا عزيزًا في قومه، تأتي صفات المهجو من السفة والجهل واللؤم والغدر والمماطلة، ومن ناحية أخرى يشير الشاعر في هجائه أن المرأة الكريمة منهم تتزوج شيخًا مسروق النسب، أي ليس نسبه لأبيه، فمن ذلك جاءتهم الهجنة، وتلك الفكرة تتعزز بعبارة: "طروقة هجان"، حيث شبه نسائهم بالناقة التي تحمل من فحل، ولا يعرف ابنها أصل نسبه. وبجانب هجائه لهم بالنسب المسروق يهجوهم بظاهرة أقوي وهي فقدان العزة والكرامة، فإذا نزلوا أرضًا يضامون فيها، وإذا فارقوا أو طردوا منها بعثوا من يعتذر عنهم، أو بعبارة أخرى يهجوهم بأنهم أهل الذلة والضعف والخزي، فإذا "أخذتهم العزة ورحلوا عن منزل الذل، أدركهم ذلهم، فتعاذلوا لم تركوه، وبعثوا وفدهم إلى أهل ذلك المنزل يستقيل خطيئتهم التي أخطؤوها بانتقالهم، ويطلبون العفو والمعذرة على ما فعلوا"(٢). لقد برع الشاعر في هذا المقام إلى سلب كل الصفات الحميدة الطيبة عن المهجو، ونسب إليه صفات الخسة والذلة والنفاق، وكأنه يسعى إلى التشهير به والتقليل من شأنه، وتشويه مكانته ونسبه.

(٤)

تعد مفضلية رقم (٧٨) ليزيد بن الخَذَّاق الشَّنِّي، التي يشكل الهجاء غرضها ومحورها الأساسي، من المفضليات التي كشفت عن الصراع العميق بين الشاعر والمهجو (الملك النعمان بن المنذر)، يقول يزيد(٣):

١- أَعْدَدْتُ سَبْحَةَ بَعْدَ ما قَرِحَتْ ولَبِستُ شِكَّةَ حازِمٍ جَلْدِ(٤)

٢- لَنْ تَجْمَعُوا وُدِّي ومَعْتَبَتِي أَوْ يُجْمَعَ السَّيْفانِ في غِمْدِ(٥)

(١) السابق، ص ١١٤٥.

(٢) الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (١٩٢٠)، شرح ديوان المفضليات، عني بطبعه ومقابلة نسخة وتذيله بحواشي وروايات لعدة لغويين وعلماء: كارلوس يعقوب لايل (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، على نفقة كلية أكسفرد)، ص ٥١٩-٥٢٠.

(٣) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٤) سبحة: اسم فرسة. قرحت: بفتح الراء وكسرها: تمت أسنانها وذلك في الخامسة في عمرها. الشكة: السلاح.

(٥) معتبتي: موجدتي ومعاداتي.

٣- نُعْمـــانُ إِنَّـــكَ خَـــائِنٌ خَـــدِعٌ		يُخْفِـــي ضَـــمِيرُكَ غيـــرَ مـــا تُبْـــدِي

٤- فـــإِذا بَـــدَا لـــكَ نَحْـــتُ أَثْلَتِنَـــا		فَعَلَيكَهَـــــا إِن كُنْـــــتَ ذَا حَـــــرْدِ[١]

٥- يَـــأْبي لَنَـــا أَنَّـــا ذَوو أَنَـــفٍ		وأُصُـــولُنا مـــن مَحْتِـــدِ المَجْـــدِ[٢]

٦- إِنْ تَغْـــرُ بالخَرْقَـــاءِ أُسْـــرَتَنَا		تَلْـــقَ الكتائِـــبَ دُونَنَـــا تَـــرْدِي[٣]

٧- أَحَـــسِبْتَنَا لحمـــاً علـــى وَضَـــمٍ		أَمْ خِلْتَنَـــا فـــي البـــأْسِ لا نُجْـــدِي[٤]

٨- ومَكَـــــرْتَ مُعْتَلِيًـــــا مَخَنَّتَنَـــــا		والمَكْـــرُ مِنْـــكَ عَلَامَـــةُ العَمْـــدِ[٥]

٩- وهَـــزَزْتَ سَـــيْفَكَ كَـــيْ تُحَارِبَنَـــا		فـــانْظُرْ بِـــسَيْفَكَ مَـــن بَـــهِ تُـــرْدِي

١٠- وأَرَدتَ خُطَّـــةَ حـــازِمٍ بَطَـــلٍ		حيْـــرَانَ أَوبقَـــهُ الـــذي يُـــسْدِي[٦]

١١- ولَقَدْ أَضاءَ لَكَ الطَّرِيـــقُ وأَنْهجَـــتْ		سُـــبُلُ المَـــسَالكِ والهُـــدَى يُعْـــدِي[٧]

في هذه القصيدة يهجو يزيد بن الخزاق الشني النعمان بن المنذر ويتوعده، وبدأ قصيدته بنعت فرسه: سبحة، وأنها قبلت اللقاح، ويبدو أن هذا اللقـاح دافعًـا لهـا علـى النشاط والحركة والتأهب السريع للاندفاع إلى مهاجاة النعمان، وقد صـرح بـذلك فـي البيت الأول من الدالية، ثم انطلق ووجه الهجاء إلى النعمان مهـددًا ومتوعـدًا. ينطـوي هجاء يزيد للنعمان على دلالة عميقة تركت أثرًا قويًا في نفس النعمان، حتى تقطعت كـل أواصر الود والمحبة مع الملك النعمان، والشاعر يشير إلى ذلك بقولـه: لا يجتمـع ودي وحبي لكم مع عتابي عليكم، لأني لا أودَّكم إلا إذا كنت راضيًا عنكم أحمل الحب إلـيكم، وإنما أعتب على ما أكره منكم، "لن يلتئم لكم المراد، إلا إذا كان مالا يكون، وهما حالتان متدافعتان تدافع السيفين، وقد أريد الجمع بينهما في غمد واحد"[٨].

ويبدو أن الشاعر في هجائه مثله مثل باقي الـشعراء "يحملـون عـن أقـوامهم مسئولية الدفاع، ويتولون مهمة استرداد كل الحقوق التي أوشـكت أن تـضيع أو حـاول

(١) الأثلة: شجرة جعلها مثلًا لعزهم. الحرد: القصد والتعمد.

(٢) المحتد: بكسر التاء، الأصل.

(٣) أراد بالخرقاء الجهل، أي بالخصلة الخرقاء. تردي: من الرديان، وهو فوق المشي ودون العدو.

(٤) الوضم: ما وقى اللحم من التراب من خشبة أو حصير. والمعنى: أحسبتنا لا ندفع عن أنفسنا عدونا، وظننتنا بمنزلة لحم على وضم لا يدفع عن نفسه.

(٥) المخنة: الأنف، أراد ما تذلنا به عند أنفسنا، كأنه قال مرغمًا أُنوفنا، والمخنة، أيضًا، الحريم.

(٦) أوبقة: أهلكه. يسدي: من سدى الثوب، أراد أوبقه عمله.

(٧) أي قد أضاء لك أمرنا. أنهجت: وضحت، والنهج الطريق الواضح. يعدي: يعين ويقوي، يقول: إبصارك الهدى يقويك على طريقك.

(٨) التبريزي، يحيى بن على الخطيب (١٩٨٧)، شرح اختيارات المفضل، الجزء الثالث، ص ١٢٧٨.

البعض الاستيلاء عليها، بأسباب غير مشروعة، وحجج غير مقنعة، وهو هجاء يتخذ طابع المناقشة الهادئة، والحجة البينة، والدليل الواضح"[١]؛ فالشاعر يهجو النعمان ويتهمه بالغدر والخيانة: نُعْمانُ إِنَّكَ خَائِنٌ خَدِعٌ، كما أنه يضمر البغض للشاعر وقومه ومن ثم يصفه بالخبث، وأنه يظهر عكس ما يبطن: يُخْفِي ضَمِيرُكَ غيرَ ما تُبْدِي، لذا يخاطبه متهكمًا: إذا استوى رأيك في نحت شجرة عزنا ومجدنا فالأفضل لك أن تتجه اتجاه مغاير بعيد عنا واركب مركب العدو الكاره لنا. ويعد هجاء الشاعر للنعمان بن المنذر "هجاء سياسيًا، وهو يتميز بأن صاحبه يرى مثله الأعلى في حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب، فهو يهاجم كل ما يتعارض مع هذا المثل من نقائض ومعايب، وهو يزعم في كل هذا أنه يهاجم في سبيل الفضيلة والحق"[٢].

إن الشاعر يهجو النعمان بضعف الرأي وسوء التدبير، كما يتهمه بالخداع والمكر: "ومَكَرْتَ مُعْتَلِيًا"، ويقول له نحن لا نأمن مكرك لأن المكر منك يكون عمدًا، ويخاطبه معاتبًا كنت في صورة فاضل شريف كريم، "فحيرك رغد العيش، ومواتاة الزمان، فدعاك إلى اقتحام البلاء والشر"[٣]؛ ويتهمه الشاعر بضعف الإبصار فقد ضل طريق النور والضياء. لذا فهو يقذفه ويتهمه بالتخلي عن المباديء والقيم الحميدة، ويرميه بالسفاهة والمكر والحمق، فلقد اختار النعمان طريق الفجور وسلك طريق الانحراف والبعد عن البر والتقوي والالتزام.

(٥)

ومن المفضليات التي يشكّل الهجاء غرضها الأساسي مفضلية رقم (٨٦) لراشد بن شهاب اليشكري التي يهجو فيها قيس بن مسعود الشيباني، حيث تبدأ مباشرة بالهجاء، وفيها يقول[٤]:

١- أَرِقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيْنَيَّ خَدْعَةٌ ووَاللَّهِ مَا دَهْرِي بِعِشْقٍ ولا سَقَمْ[٥]

٢- ولَكِنَّ أَنْبَاءً أَتَتْنِي عنِ امْرِئٍ ومَا كانَ زادِي بِالخبيثِ كما زَعَمْ

٣- ولَكِنَّنِي أُقْصِي ثِيابِي مِنَ الخَنَا وبَعْضُهُم للغَدْرِ فِي ثَوْبِهِ دَسَمْ

(١) القيسي، نوري حمودي (١٩٨١)، تقويم جديد لظاهرة الهجاء في الشعر العربي قبل الإسلام، ص١٢.

(٢) حسين، محمد (١٩٤٧)، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص٢٣.

(٣) التبريزي، يحيى بن على الخطيب (١٩٨٧)، شرح اختيارات المفضل، الجزء الثالث، ص ١٢٨١.

(٤) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٣٠٧-٣٠٩.

(٥) تخدع: تدخل. يقول لم يدخل في عيني شيء من النعاس.

٤- فمَهْلًا أَبا الخَنْساءِ لا تَشْتُمَنَّنِي		فَتَقْرَعَ بعدَ اليَومِ سِنَّكَ مِنْ نَدَمْ

٥- ولا تُوعِدَنِّي إنَّنِي إن تُلَاقِنِي		مَعِي مَشْرَفِيٌّ فِي مَضارِبِهِ قَضَمْ[١]

٦- ونَبْلٌ قِرَانٌ كالسُّيُورِ سَلَاجِمٌ		وفَرْعٌ هَتُوفٌ لا سَقِيٌّ ولا نَشَمْ[٢]

٧- ومُطَّرِدُ الكَعْبَيْنِ أَسْمَرُ عاتِرٌ		وذاتُ قَتِيرٍ فِي مَواصِلِها دَرَمْ[٣]

٨- مُضاعَفَةٌ جَدْلَاءُ أو حُطَمِيَّةٌ		تُغَشِّي بَنَانَ المَرْءِ والكَفَّ والقَدَمْ[٤]

٩- لِعادِيَّةٍ مِنَ السِّلَاحِ اسْتَعَرْتُها		وكان بِكُمْ فقْرٌ إلى الغَدْرِ أو عَدَمْ[٥]

١٠- وكنتُ زَمانًا جارَ بَيْتٍ وصاحِبًا		ولَكِنَّ قَيْسًا فِي مَسامِعِهِ صَمَم

١١- أَقَيْسَ بنَ مَسعودِ بنِ قَيْسِ بنِ خالِدٍ		أَمُوفٍ بِأَدْراعٍ ابنِ طَيْبَةَ أَمْ تُذَمّْ

١٢- بِذَمٍّ يُغَشِّي المرءَ خِزْيًا ورَهْطَه		لَدَى السَّرْحَةِ العَشَّاءِ فِي ظِلِّهَا الأَدَمْ[٦]

١٣- بَنَيْتُ بثَاجٍ مِجْدَلاً مِن حِجارةٍ		لِأَجْعَلَهُ عِزًّا على رَغْمِ مِنْ رَغَمْ[٧]

١٤- أَشَمَّ طُوَالًا يَدْحَضُ الطَّيْرُ دونَهُ		لَهُ جَنْدَلٌ ممَّا أَعَدَّتْ لَهُ إِرَمْ[٨]

١٥-ويَأْوِي إليهِ المُسْتَجيرُ مِنَ الرَّدَى		ويَأْوِي إليهِ المُسْتَعِيضُ مِن العَدَمْ[٩]

تفيض ميمية راشد بن شهاب اليشكري بالصراع الإنساني بين شخصين، يكون الشاعر أحد طرفي هذا الصراع، ويمثل المهجو (قيس بن مسعود بن خالد الشيباني) الطرف الثاني في هذا الصراع. يبدأ الشاعر بالإعلان عن أرقه الذي بات ملازمًا له، ولم يكن أرقه بسبب مرض وسقم أو طيف المحبوبة الذي يزوره ليلًا فيأنس به، ويهيج شوقه، ويداعب فؤاده، أو بعبارة أخرى: لقد استهل الشاعر قصيدته بذكر الأرق، وأن

(١) المشرفي: السيف المنسوب إلى المشارف، وهي قرى.

(٢) القران :المتشابهة. السلاجم: الطوال، الواحد سلجم. الفرع: القوس أخذت من أعلى الغصن. الهتوف: المصونة. السقي: ما شرب الماء على الأنهار من الشجر. النشم: شجر خوار ضعيف.

(٣) المطرد: يعني رمحًا إذا هز اضطرب كله، واطرد في اضطرابه، كاطراد الماء في جريه. العاتر: الصلب . ذات قتير يعني درعًا، والقتير رؤوس مسامير الدرع. والدرم: الاستواء.

(٤) المضاعفة: التي نسجت حلقتين حلقتين. الجدلاء: المحكمة. الحطمية: منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عبد القيس، وكان صانع دروع.

(٥) عادية: أي درع قديمة كانت في زمن عاد، وذلك أجود لها.

(٦) السرحة: واحدة السرح، وهو شجر كبار عظام لا ترعى وإنما يستظل فيه. العشاء: الخفيفة.

(٧) ثاج: قرية بالبحرين. المجدل: القصر.

(٨) يدحض: يزلق، والمراد أنه لا تبتلعه الطير. الجندل: الحجارة.

(٩) المستعيض: طالب العوض والصلة.

أرقه لم يكن للعشق ولا السقم، فلم يدخل في عينيه شيء من النعاس، وإنما أرقه ما تطرق إليه من الأنباء التى جاءته عن هجاء قيس إياه(١).

إن أرق الشاعر من تلك الأنباء والهجاء الذي أتاه من هذا الشخص جعله يتعجب مما وصفه به، ولم يكن كما وصفه، حيث جعل "الزاد الخبيث مثلًا للقول السيء"(٢)، فيوجه إليه الشاعر تهديدًا يتوعده بالحرب، جراء تلك الأنباء الكاذبة عنه، ويحذره من قسوة هجائه له. ويخبره بأنه طيب الهيئة والسيرة الطيبة، ولا يخضع للمطامع الدنيَّة، بل يهجوه بأنه مدنس غير مطهر. ويشكل الهجاء بين الشاعر الهَجَّاء والمهجو نسيجًا من القلق والتوتر، يتجسد في وصف الشاعر له بالغدر، وأنه يرتدي ثوب الدنس والعار: "وبَعْضُهُم للغَدْرِ فِي ثَوْبِهِ دَسَمْ"، ومن ثم يتصدى الشاعر لهجاء قيس، ويوجه إليه تهديدًا شديدًا يجعله يندم على كل ما هجاه به.

إن الهجاء مثل السيف يقطع به الرقاب، وكأن الشاعر يحذره بأن قتاله له لا يكون قرعًا بالحصى، أو قذفًا بالحجارة، إنما يكون قتاله بالسيف الذي يداوي ما في النفوس من نار الحقد وقساوة الغيظ، ولهذا تحتل تجربة البطولة حيزًا قويًا في الميمية، فتتضافر مع الهجاء، حيث يبرز في الميمية البطل الذي تجتمع فيه صفات البطولة والتفرد، فيتحدث الشاعر عن امتلاكه القوة، وأنه من أصحاب الفضل والجود والكرم، وهو من أهل الحكمة ورجاحة العقل.

وتعتلي مع التفاخر بالبطولة أدوات القتال مثل: السيف المشرفي، المنسوب إلى المشارف، الذي يقطع كل ما ضرب به: "مَعِي مَشْرَفِيٌّ فِي مَضارِبِهِ قَضَمْ"، والقوس المسنون الحاد، الذي أُخذ من أعلى الغصن، والرمح الذي يضطرب في سرعته كإطراد الماء في جريه، ويستطرد الشاعر في وصف المادة الحديدية الصلبة المصنوع منها أدوات قتاله، حيث وصف الحلقات القوية التي تربط الدرع ببعضه بعضًا، والتي صُنعت ونُسجت بحكمة وإتقان، وهي منسوبة إلى صانع هذه الدروع القوية "حطمة بن محارب بن عبد القيس"، ويقال عنها إنها التي تحطم السيوف.

ويتباهى الشاعر بحوزته جميع أنواع السلاح والخيل، ويهدف إلى "أن جميع ما حازه من أنواع السلاح مما اختاره من قديمها لا من حديثها.... ويقول: كان حالي فيما أمتلكه وأتخيره من الخيل والسلاح، وأنتم غدارون فقراء"(٣). بجانب الفقر والغدر يؤكد

(١) راجع: الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٣٠٨.

(٢) الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (١٩٢٠)، شرح ديوان المفضليات، ص٦١١.

(٣) التبريزي، يحيى بن على الخطيب (١٩٨٧)، شرح اختيارات المفضل، الجزء الثالث، ص ١٣٢١-١٣٢٢.

في هجائه بأنهم ليس لديهم أمانة أو وفاء وأنهم جاحدون ينكرون الصنيع الطيب، فيقول في الوقت الذي كنت أدافع عنكم، وأصاحبكم دانيًا أو نائيًا، كان قيسًا ينكر من ذلك ما عرف. فأنتم أهل الغدر والخيانة والخداع. ولذا يصرح باسم المهجو مناديًا له: "أَقَيْسَ بنَ مَسعودِ بنِ قَيْسِ بنِ خالِدٍ"، ومهاجيًا اياه يا تارك الوفاء فأنت مذموم: "أَمُوفٍ بأَذْراعِ ابنِ طَيْبَةَ أَمْ تُذَمّْ"، فكأنه جمع في هجائه لقيس بين الغدر وعدم الوفاء والسيرة المذمومة.

وتكتمل هذه الاحتفالية البطولية بالفخر الذي يمتزج بالهجاء، حيث يصف الشاعر نفسه بالقوة والصلابة مثل شجرة الكبار، التي لا ترعى إنما يُستظل بها وتحتها، وهي شجرة كبيرة كانت بسوق عكاظ يجتمع الناس والقبائل إليها وينتصبون خيامهم تحت ظلها الناعم: "لَدَى السَّرْحَةِ العَشَّاءِ فِي ظِلِّهَا الأَدَمْ"، وبالإضافة إلى قوته وصلابته فهو الملجأ للضعيف والمأوى للفقير والمستجير لمن يطلب منه العون والمساعدة. إن فعل البطولة والفخر يمثل عند الشاعر كوناً من المفارقات الضدية، أو بعبارة أدق: تمثل القوة والعنفوان في وجه الغدر وعدم الوفاء، حيث يفيض النص بحس طاغ بصراع الطرفين، ومأساوية هذا الهجاء في الوجود الإنساني، وحرص الشاعر على المجاهدة في تحقيق الانتصار.

(٦)

ومن المفضليات التي يعد الهجاء موضوعها الأساسي وغرضها الوحيد مفضلية رقم (٨٨) للحارث بن ظالمٍ، "وأبو ليلى كنيته، وهو شاعر مرِّيّ جاهلي، علَّمه الفتكَ عبيدُ بنُ نشبة، فكان أَفتك الناس وأشجعهم، وضرب به المثل في فتكه، فقيل أفتك من الحارث بن ظالم"[(١)]. قتل ابن الملك "النعمان بن المنذر" ثأرًا لجيرانه بني ديهث، وتوعد "النعمان" وتهدده بالقتل فاستدرجه "النعمان"، وعلم "الحارث" بخديعة "النعمان بن المنذر" فأنشد هذه القصيدة، وقد سجل فيها مصرع ابن النعمان بن المنذر، وخاطب النعمان الملك وسنان بن أبي حارثة، وهجا النعمان بن المنذر، وتوعد النعمان بالقتل، وأبدى شماته بمصرع ابنه، ونعت سيفه الذي صرعه به، ثم خاطب النعمان في هجاء يتوعده فيه بالقتل[(٢)]، يقول الحارث بن ظالم[(٣)]:

(١) البغدادي، عبدالقادر بن عمر (١٩٨٣)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الجزء السابع، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الخانجي)، ص٨١.

(٢) راجع: التبريزي، يحيى بن على الخطيب (١٩٨٧)، شرح اختيارات المفضل، الجزء الثالث، ص ١٣٢٧.

(٣) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٣١١-٣١٣.

١- قِفـا فاسْـمعا أُخْبرْكُمـا إذ سـألْتُمَا مُحَـارِبُ مَـوْلاهُ وثَكْـلانُ نـادِمُ[١]

٢- فأُقْـسِمُ لـولا مَـنْ تَعَـرَّضَ دونَـهُ لَخَالَطَـهُ صـافِي الحديـدَةِ صـارِمُ[٢]

٣- حَـسِبْتَ أَبـا قـابُوسَ أَنَّـكَ سـالِمٌ ولمَّـا تُـصبْ ذُلاًّ وأَنْفُـك رَاغِـمُ[٣]

٤- فَـإِنْ تَـكْ أذوادٌ أُصِـبْنَ وصِـبْيةٌ فهـذَا ابـنُ سَـلْمى رأْسُـهُ مُتفـاقِمُ[٤]

٥- عَلَوتُ بذِي الحَيَّـاتِ مَفْـرِقَ رأْسِـهِ وهَـل يَرْكَـبُ المَكْـرُوهَ إلاّ الأَكَـارِمُ[٥]

٦- فَتَكْـتُ بِـهِ كَمـا فَتَكْـتُ بِخالِـدٍ وكَـانَ سِـلاحِي تَجتَوِيـهِ الجَمـاجِمُ[٦]

٧- أَخُصْيَيْ حِمَـارٍ بـاتَ يَكْـدِمُ نَجْمَـةً أَتَأْكُـلُ جِيرَانِـي وجـارُكَ سـالِمُ[٧]

٨- بَـدَأْتُ بِهَـذِي ثُـمَّ أَثْنِـي بِهَـذِهِ وثَالِثَـةٌ تَبْـيَضُّ منهـا المَقَـادِمُ[٨]

تنفتح مفضلية الحارث بن ظالم بأفعال الأمر: "قِفا فاسْمعا أُخْبرْكُما"، التي تـوحي بالفخر والإعلان عن نبأ قتله ابن الملك بن النعمان بن المنذر، وكأنه بقتله ابن الملك فعـل شيئًا عظيمًا لا يستطيع غيره أن يفعله، فيقول: أنا محارب مولاه، قتلت ابنه. ومن ناحيـة أخرى، تكشف مفضلية الحارث بن ظالم عن هجائه للنعمان بن المنذر بعد أن قتل ابنـه، ويهدده بقتله هو نفسه[٩]. لقد أقسم الحارث لولا حراس الملك وأحبائه لطلبته حتى قتلتـه. ويبدو أن الحقد النفسي الذي يضمره الشاعر للنعمان بن المنذر جعله ينطق بالتهديد بقتله، ويندفع إلى هجائه، كما أنه ينذره ويذكره بأنه لن يسلم من هجاءه وشره، وخير دليل على توعده بالقتل هو قتله ابن النعمان (ابن سلمى)؛ ثم يذكره، أيضًا، كيف قتل ابنـه، حيـث علا بسيفه الحاد (ذي الحيات) مفرق رأسه، فيفتخر بقتله، وكأن فعل المكروه، وهو قتـل بن الملك، خلق للأكارم، إن الحارث بن ظالم حين يصف ذلك الفعل المكروه فإنه "يفتش في الحياة عن مواضيع ينفث فيها سم حقده و سخريته"[١٠].

(١) محارب مولاه: يريد أنا محارب مولاه. ثكلان نادم: يعني الملك النعمان بن المنذر.

(٢) يقول: لولا من دون الملك من حرسه وخاصته لطلبته حتى أقتله.

(٣) أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر.

(٤) الأذواد: جمع ذود، يريد امرأة كانت جارة له. ابن سلمى: يعني به ابن الملك النعمان بن المنذر، وكان في حجر سنان بن أبي حارثة. متفاقم: غير ملتئم، ويشير إلى أنه قتله.

(٥) ذو الحيات: يعني سيفه.

(٦) خالد: هو ابن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. تجتويه: لا يوافقها.

(٧) أراد: يا خصي حمار، يخاطب النعمان، يصغره بالك. يكدم: يعض. النجمة: واحدة النجم، وهو النبت على وجه الأرض ليس له ساق.

(٨) المقادم: هي المقاديم بحذف الياء، ومقاديم الوجه: ما استقبلت منه كالناصية، عنى شيب الناصية من هول الضربة، يريد بالأولى قتل خالد بن جعفر، ويريد بالثانية قتل ابن النعمان، والثالثة قتل النعمان، يتوعده.

(٩) راجع: محمد، سراج الدين (١٩٩٨)، الهجاء في الشعر العربي، ص ٢٠.

(١٠) الحاوي، ايليا سليم (١٩٥٩)، ابن الرومي: فنه ونفسيته من خلال شعره (بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني)، ص ٤٤.

لقد كشفت المفضلية عن سم حقده وقسوة أفعاله المتجسده بقوله: "فَتَكْتُ بِهِ كَمَا فَتَكْتُ بِخالِدِ"، إن فعل الفتك والطعن يؤكد ما في نفسه من حقد دفين ورغبة انتقام شديدة تجاه النعمان بن المنذر، ثم أعقبه باستخدامه دال الجماجم، الذي جاء بصيغة الجمع، ليوحي بتعدد أشكال الموت والرغبة في الانتقام، وسيطرة الموت والعفاء على كل الأماكن، وتحديدًا قلب الشاعر وعقله ورغبته في تحقيق الموت بسلاحه الحاد القوي، ومن ثم لجأ الشاعر إلى الانتقام من النعمان بن المنذز، بالهجاء والتهديد بالقتل مثلما قتل ابنه من قبل. هكذا تتحرك المفضلية بين قطبي الهجاء والتهديد بالقتل للنعمان بن المنذر، أي أن المفضلية تتجه إلى فعل الانتقام والقتل، وقد تم القتل مرتان بالفعل، كانت الضربة الأولى متمثلة في قتل خالد بن جعفر، والثانية في قتل ابن الملك النعمان بن المنذر، و الثالثة تتمثل في المجاهده في تحقيق فعل القتل والانتقام من النعمان نفسه، والتهديد والوعيد له بالقتل من خلال هجائه له.

(٧)

احتفظت المفضليات بمفضليتين توضح وتؤكد باكورة ظهور فن النقائض التي بلغت أوجها في العصر الأموي، فكانت مفضلية الحُصَيْن بن الحُمَام المُرِّيّ، التي مطلعها[١]:

- جَزَى اللهُ أَفْنَاءَ العَشِيرَةِ كُلِّهَا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ عُقُوقاً ومَأْثَمَا

والمفضلية الثانية للخَصفي من مُحَارب، واسمُه: عامِر المَحَارِبيّ، يناقض فيها الحصين بن الحمام المري، ومطلعها[٢]:

- منْ مُبْلِغٌ سَعْدَ بنَ نُعْمَانَ مَألُكًا وسَعْدَ بنَ ذُبْيَانَ الذِي قد تَخَتَّما

والميميتان طويلتان حيث تمتد ميمية "المري" إلى نحو اثنين وأربعين بيتًا، وتشمل ميمية "المحاربي" إلى نحو تسعة وعشرين بيتًا. ويؤكد الشارح على تعارض هذين المفضليتين لبعضهما بقوله: "قال عامر المحاربي هذه القصيدة يناقض الحصين بن الحمام المري، في قصيدته ١٢. وقد بدأ بالعتب على بني ذبيان، إذ تخاذلوا عنه في الحرب، ونفضوا أيديهم جانحين إلى السلم بعد هزيمتهم، ثم فخر بأيام قومه، وخص يوم رجيح حين لقوا طيئًا ونكلوا بهم. ثم وجه القول إلى بني ثعلبة بن سعد، يمن عليهم بالمسالمة، وأنه لولا

(١) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٦٤.
(٢) السابق، ص ٣١٨.

الحلف الذي بينهم لكان قد أوقع بهم. ثم أظهر اعتزازه بكرم محتده وشرف قومه وكثرة ساداتهم. وفي البيتين ٢٨-٢٩ يهجو الحصين ويتوعده"[١].

وتشترك الميمياتان في قانون الوحدات الثلاث الذي يتحكم في النقائض: وحدة الوزن ووحدة القافية ووحدة الموضوع[٢]. وتجدر الإشارة إلى أن مفضلية "عامر الخصفي" كانت ردًا على مفضلية الحصين المري، ويمكن ملاحظة وجود الأسماء المشتركة بينهما، فكلاهما يهجو رجلًا اسمه ثعلبة، يقول الحصين المري[٣]:

- أَثَعْلَبَ لو كُنتُم مَوَالي مِثْلِهَا إذن لَمَنعنَا حَوْضَكُم أَنْ يُهَدما

ويعارضه "الخصفي المحاربي، فيقول[٤]:

- أَثَعْلَبُ لولا ما تَدَعَّوْنَ عِنْدَنَا مِنَ الحِلْفِ قد سُدَّى بَعَقْدٍ وأُلْحِمَا

ولقد تبدى الهجاء واضحًا في ميمية "الحصين المري" الذي ذكر اسم "المحارب الخصفي" في هجائه وصرح به قائلًا[٥]:

١٩- لأَقْسَمْتُ لا تَنْفَكُّ مِنِّي مُحَارِبٌ على آلةٍ حَدْبَاءَ حتى تَنَدَّمَا[٦]

٢٠- وحتى يَرَوْا قومًا تَضِبُّ لِثَاتُهُمْ يَهُزُّونَ أَرماحًا وجيشًا عَرَمْرَمَا[٧]

٢١- ولا غَرْوَ إلَّا الخُضْرُ خُضْرُ مُحَارِبٍ يُمَشُّونَ حَوْلِي حَاسِرًا ومُلأَّمَا[٨]

٢٢- وجاءَتْ جِحَاشٌ قَضَّها بقَضِيضِها وجَمْعُ عُوَالٍ ما أَدَقَّ وأَلأَمَا[٩]

٢٣- وهاربةُ البَقْعَاءُ أَصبحَ جَمْعُها أَمَامَ جُموعِ النَّاسِ جَمْعًا مُقَدَّمَا[١٠]

٢٤- بِمُعْتَرِكٍ ضَنْكٍ به قَصَدُ القَنَا صَبَرْنا لهُ قد بَلَّ أَفراسَنا دَمَا[١١]

٢٥- وقلتُ لهم يا آلَ ذُبْيَانَ ما لكُمْ تَفَاقَدْتُمُ لا تُقْدِمُونَ مُقَدَّمَا[١٢]

---

(١) السابق، ص ٣١٨.

(٢) خليف، يوسف (١٩٧٧)، تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي، الطبعة الأولى (القاهرة : دار الثقافة)، ص ٥٥.

(٣) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٦٦.

(٤) السابق، ٣٢٠.

(٥) السابق، ص ٦٧-٦٨.

(٦) – محارب: هم بنو محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان. الآلة: الحالة. الحدباء: الصعبة، أي تحمل على أمر عظيم صعب، لا تطمئن عليه إذا ركبته.

(٧) تضب لثاتهم: تسيل من حب الغنيمة وشهوة الحرب. عرمرم: كثير.

(٨) لا غرو: لا عجب. الخضر: خضر محارب، هم بنو محارب بن قيس بن عيلان. الحاسر: الذي لا مغفر عليه ولا درع. الملأم: ذو اللأمة.

(٩) جحاش: بكسر الجيم، هم بنو جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان. قضها بقضيضها: بالنصب على الحال، أي صغيرها بكبيرها. وأصل القض: الحصى الصغار والتراب، والقضيض جمعه.

(١٠) هاربة بن ذبيان، رحلوا من بني ذبيان ونزلوا في بني ثعلبة بن سعد، فعدادهم معهم، وهم قليل.

(١١) المعترك: موضع المعاركة في النضال. الضنك: الضيق. قصد القنا: ما يكسر من الرماح.

(١٢) تفاقدتم : دعاء عليهم بالموت، وأن يفقدوا بعضهم بعضا.

٢٦- أَما تَعلمونَ اليومَ حِلْفَ عُرَيْنَةٍ وحِلفًا بِصحراءِ الشَّطُونِ ومُقْسَمَا[١]

٢٧- وأَبْلِغْ أُنَيْساً سَيدَ الحَيِّ أَنَّهُ يَسُوس أُمورًا غيرُها كان أَحزمَا[٢]

٢٨- فإنك لو فارقْتَنَا قبلَ هذهِ إذًا لَبَعَثْنَا فوقَ قَبْرِكَ مَأْتَمَا[٣]

٢٩- وأَبلغْ تَلِيدًا إنْ عَرَضْتَ ابنَ مالِكٍ وهلْ يَنْفَعَنَّ العِلمُ إلَّا المُعَلَّمَا[٤]

٣٠- وعُوذِي بِأَفْنَاءِ العَشِيرةِ إنما يَعُوذُ الذَّلِيلُ بالعَزِيزِ لِيُعْصَمَا[٥]

تكشف هذه الميمية عن العداء الدفين بين الشاعرين، فكان الهجاء لاذعًا وصريحًا، حتى صرح الحصين المري باسم الخصفي في هجائه هو وقومه، فيصفه بأنه لا يستطيع إدارة الأمور العظيمة، وإذا حُمل على أمر عظيم صعب، لا يطمئن عليه في إدارته والسيطرة عليه. وظل يسدل عليه صفات عدم الشجاعة والقدرة في مواجهة الصعاب، ويصف قوم الخصفي بأنهم أصحاب التخلي عن القيم والمبادئ التي يتحلى بها الشاعر وقومه، وكأن الشاعر وقومه هم الذين يمتلكون هذه الصفات والأخلاق الحميدة. إن هذا الهجاء كشف عن بداية فن النقائض، فمثلما صرح الأول باسم الثاني وهجاه، صرح الثاني باسم الأول (أي الحصين المري) وهجاه على نفس الوزن والقافية والموضوع، فيقول المحارب الخصفي[٦]:

٢٨- يُغنِّي حُصينٌ بالحِجازِ بَناتِهِ وأَعْيا عليهِ الفَخْرُ إلَّا تَهَكُّمَا[٧]

٢٩- وإنَّا لَنَشْفِي صَوْرَةَ التَّيْسِ مِثْلَهُ ونَضْرِبُهُ حتَّى نَبُلَّ اسْتَهُ دَمَا[٨]

لقد تشابهت مفضلية الحصين بن الحمام المري في اتجاهها العام مع مفضلية عامر الخصفي، فهي تشبهها وتجمع بين الفخر والهجاء، وتتخذ من التهديد مدخلًا للهجاء، وتتوعد الآخر وتهجوه. ومثل كل النقائض تتراوح الميميتان بين الفخر والهجاء أو على

(١) عرينة: هم بنو عرينة بن نذير بن فسر. الشطون: موضع. المقسم: مكان القسم.

(٢) أنيس: يريد أنيس بن يزيد بن عامر المري.

(٣) المأتم: كل جماعة تجتمع، وغلب عليه عند الناس الاجتماع على الميت.

(٤) إلَّا المعلما: لا ينفع العلم إلا من تعلم وتمكن.

(٥) عُوذي: من قولهم "عاذ بالشيء" لجأ إليه واعتصم. ليعصما: من العصمة وهى المنعة.

(٦) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٣٢١.

(٧) حُصين: هو الحصين بن حمام المري.

(٨) التيس: أراد به ههنا رأس القبيلة. استه: أي نضربه مدبرًا.

حد تعبير "أحمد الشايب": "قد جمعت المناقضة بين فني الفخر والهجاء، ووحدة البحر والقافية، وتقابل المعاني فقد أنكر الثاني على الأول فخره. وقابل هجاءه بنظيره"(١).

(٨)

ومن المفضليات التي موضوعها الأساسي الهجاء، أو كان الهجاء غرضها ومحورها الرئيس أيضًا، مفضلية رقم (١٠٣) لزَبَّان بن سَيَّار بن عَمْرو المُرِّيّ، وفيها يهجو بني اللقيطة ويتوعدهم بالقتل، يقول زبان(٢):

١- أَلَمْ يَنْهَ أَوْلَادَ اللَّقِيطَةِ عِلْمُهُمْ بِزَبَّانَ إِذْ يَهْجُونَهُ وهْوَ نَائِمُ(٣)

٢- يُطِيفُونَ بالأَعْشَى وصَبَّ عَلَيْهِمُ لِسَانٌ كَصَدْرِ الهُنْدُوَانِّى صارِمُ

٣- وإنَّ قَتِيلًا بالهَبَاءَةِ فِي اسْتِهِ صَحِيفَتُهُ إن عَادَ للظُّلْمِ ظالِمُ(٤)

٤- متى تَقْرَؤُوهَا تَهْدِكُم مِنْ ضَلَالِكُمْ و تُعْرَفْ إذا ما فُضَّ عنها الخَوَاتِمُ

٥- لَدَى مَرْبِطِ الأَفْرَاسِ عندَ أَبِيكُمُ حَذَاكُمْ بها صُلْبُ العَدَاوَةِ حَازِمُ(٥)

٦- فإنْ تَسْأَلُوا عنها فَوَارِسَ دَاحِسٍ يُنَبِّئْكَ عنها من رَوَاحَةَ عَالِمُ

٧- فَأَقْسَمَ مُرْتاحًا شَرِيكُ بنُ مَالِكٍ إذا ما الْتَقَيْنَا خَصْمَهُ لَا يُسالِمُ

٨- وأَقْسَمَ يَأْتِي خُطَّةَ الضَّيْمِ طائعًا بَلَى سَوْفَ تأْتِيها وأَنْفُكَ رَاغِمُ(٦)

تنفتح هذه المفضلية بالهجاء، وكأن الشاعر يقدم سبب هجائه كرد فعل على هجائهم له من قبل، وهو "غافل عنهم، جعل غفلته عنهم كنومه أي يهجونه وهو لا يلتفت لهم"(٧)، أو بالأحرى: كأنه لا يلتفت إليهم ولا يعبأ بهجائهم. في هذه المفضلية يهجو الشاعر بني اللقيطة، "وينذرهم عاقبة هجائهم إياه، ويحذرهم من اغترارهم بصمته، ويعيرهم بما كان من مقتل حمل بن بدر بأفحش قتلة، وأنهم مثلوا به في يوم الهباءة، ووضعوا لسانه في موضع من جسمه"(٨).

(١) الشايب، أحمد (١٩٥٤)، تاريخ النقائض في الشعر العربي، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر)، ص ٧٢.

(٢) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٣) بنو اللقيطة: هم حصن ومالك ومعاوية وورد وشريك.

(٤) الهباءة: موضع به يوم من أيامهم. القتيل: هو حمل بن بدر، قتل هو وأخواته يوم الهباءة.

(٥) حذاكم: أعطاكم

(٦) أقسم يأتي: أي أقسم لا يأتي، وحذف حرف النفي مع القسم كثير. راغم: ذليل ملصق بالرغام وهو التراب.

(٧) الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (١٩٢٠)، شرح ديوان المفضليات، ص ٦٩٣.

(٨) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٣٥٣.

يجسد الهجاء في هذه المفضلية الصراع القوي بين الشاعر وبني اللقيطة، ويطغى على هذا الصراع فيض من التوتر والتمزق فكان هجائه قاسيًا يحمل التهديد والوعيد، وذلك بسبب هجائهم له من قبل، ويعيرهم بمقتل "حمل بن بدر" الذي قتلوه وطعونه في يوم الهباءة، وهو يوم من أيامهم، يقول لهم ويذكرهم بأنه عندما ترون هذه الطعنة تردعكم عن الظلم والتعدي، وقد أُعلن عن تلك الطعنة في الصحيفة، وكأنها وسم وعار عليهم، حيث: "إنهم لما طعنوه وقتلوه جعلوا في استه صحيفة يشهرونه بها، ويردعون بذلك غيره ممن هو مثله"(١)؛ ومن ناحية أخرى يعد ذلك تهكم وسخرية، فهو بتلك الصحيفة يكشف هزيمتهم وذلهم للشاعر وقومه، ثم يهجو شريك بن مالك ويتحدث عن شجاعته الكاذبة التي أودت به إلى أن يقهر ويرغم، كما وصفهم في هجائه بأنهم أذلاء ملصقون بالرغام، وهو التراب لا يخرجون منه. ويعد "هذا اسلوب جديد في الهجاء، ففيه النقاش الذي يحاول إقامة الحجة، ويلزم الخصم الدليل، ويظهره بمظهر السفيه اللئيم، أو المكابر المتعجرف، أو المنافق المتلون"(٢). وصلت لحظة الهجاء في القصيدة إلى نهايتها، وتبدو المفضلية بهذا الشكل حصيلة تأسيس للحظة الانتصار وتغيير العلاقات بين الأشخاص.

(٩)

انتهت مفضليات المسار الأول، التي كان الهجاء غرضها ومحورها الرئيس، بمفضلية زبان بن سيار بن عمرو، ونبدأ بتحليل مفضليات المسار الآخر الخاص بقصائد يعد الهجاء غرضًا من أغراضها، لتشكل مفضلية رقم (٧) للجُميح أول مفضليات المسار الآخر. ويتبدى غرض الهجاء متضافرًا مع غرض وصف الفرس الجرداء القوية في تلك المفضلية، و"الجُمَيح بضم الجيم وفتح الميم مصغر هو لقب، واسمه منقِذ بن الطَّمّاح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قُعَين، وهو صاحب امرؤ القيس ووشى به إلى قيصر فصار سببًا لهلاكه"(٣). جاء موضوع الهجاء في هذه الميمية بوصفه نتيجة لغدر بني عامر بخالد بن نضلة الأسدي، "وذلك في يوم ذي عَلَق يوم ألتقى بنو عامر بن صعصعة رهط الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن عامر، وبني أسد، رهط الجميح، وقتل فيه

(١) الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (١٩٢٠)، شرح ديوان المفضليات، ص ٦٩٣.
(٢) حسين، محمد (١٩٤٧)، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ١٩٣.
(٣) البغدادي، عبدالقادر بن عمر (١٩٨٣). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، الجزء العاشر، ص ٢٤٩.

ربيعة بن مالك أخو الطفيل، وانهزمت بنو عامر، ثم غدر بنو عامر بخالد فقتلوه، فهو يهجو بني عامر ويعيرهم بما غدروا"[١]؛ يقول الجميح[٢]:

١- سائِلْ مَعَدًّا مَنِ الفوارسُ لا أَوْفَوْا بِجِيرانهمْ ولا غَنِمُوا

٢- لو خافكم خالدُ بن نَضْلَةَ نَ جَّتْهُ سَبَّحٌ عِنانها خَذِمُ

٣- والحارثُ المُسْمِعُ الدُّعاءَ وفي أصحابهِ مَلْجَاءٌ ومُعْتَصَمُ

٤- فِدًى لسَلْمَى ثَوْباىَ إِذْ دَنِسَ الـ قَومُ وإِذْ يَدْسُمُون ما دَسَمُوا

٥- أَنتم بنُو المرأَةِ التي زَعَمَ الـ نَّاسُ عليها في الغَيِّ ما زَعَمُوا

يتخذ الجميح من ميميته مجالًا واسعًا لهجاء بنو عامر الذين غدروا بقوم الجميح، وقتلوا خالدًا، "حيث كان خالد بن نضلة الأسدي نازلًا في بني جعفر بن كلاب مجاورًا لهم فقتلوه، فقال لهم لم يوفوا بجارهم قتلوه ولا هم أصابوا بقتلهم إياه غُنْمًا"[٣]، فهجاهم الجميح بغدرهم ومكرهم.

لقد افتتح هجائيته بالاستفهام: سائِلْ مَعَدًّا، حيث أراد بالاستفهام: "التشهير ببني عامر حين غدروا بخالد فلم يوفوا بهدنتهم"[٤]، فيعتب عليهم غدرهم بخالد، في الحين الذي كان خالدًا آمنًا بعهدهم، شديد الوفاء معهم، فلم يأخذ حذره منهم، ولو خاف غدرهم لنجا من شرهم. ويشير إلى أن خالد يمتلك صفات لم يمتلكها بنو عامر، فهو رمز للشرف والنقاء يتمادح به العرب على مر الأزمان، ويعاود الشاعر ليهجوهم بغدرهم وأنهم تدنسوا بما فعلوا، "وفي الهجاء قوة بنائية ومظهر هدام، فحين يهاجم شخصًا من الأشخاص أو نظامًا من النظم أو نزعة من النزعات، يتصور في حقيقة الأمر حياة أخرى بأشخاصها ونظامها وأسلوبها، هي مثله الأعلى الذي يطمح إليه ويدعو له"[٥]. لقد انتهت المفضلية باستهزاء الشاعر منهم وسخريتهم بفعلتهم التي فعلوها ووصفهم بالغدر والخيانة.

(١) الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (١٩٢٠)، شرح ديوان المفضليات، ص ٤٥.
(٢) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٤١-٤٢.
(٣) التبريزي، يحيى بن على الخطيب (١٩٨٧)، شرح اختيارات المفضل، الجزء الأول، ص ١٩٨.
(٤) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٤١.
(٥) حسين، محمد (١٩٤٧)، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ١٩.

(١٠)

ونستطيع أن نرى الهجاء في مفضلية رقم (١٥) للمزرد بن ضرار، التي يهجو بها قومًا من غطفان، كانوا جيرانًا لقومه ، ويعد الهجاء في هذه الدالية غرضًا من أغراضها، والتي مطلعها[١]:

أَلَا يَا لقَوْمٍ والسَّفَاهةُ كَاسْمِها أَعَائِدَتي مِن حُبِّ سَلْمَى عَوائِدي[٢]

وترى "مي خليف" أن "القصيدة طويلة تمتد إلى ثلاثة وأربعين بيتًا، لتصبح أطول قصيدة هجاء في المفضليات، ويتردد فيها كثير من الفحش والإقذاع"[٣]، وتوقف صاحب كتاب "الهجاء والهجاءون" عند هذه المفضلية بقوله: "كان العرب شديدي الخوف من الهجاء. وكانوا يرون بيت الهجاء متضمناً قوة خفية، ولعنة تصيب من تحل به. ومن ذلك قول المزرد بن ضرار الذبياني (أخو الشماخ بن ضرار) في رجل من بني عبد الله بن غطفان خدع غلامًا من قومه فاشترى إبله بغنم، وهو هنا يندد بخدعة الرجل، طالبًا إليه أن يرد الإبل، وقد صورها مصابة بالجرب وبمختلف الأدواء، وكأنه يريد أن يشأمها وينول فيها اللعنة والبوار"[٤].

لقد استهل الشاعر مفضليته بذكر محبوبته سلمى وموقف وداعها، ثم تحدث عن قصة الإبل، ونعت الإبل المبيعة، وصبغها بصفات الأصل الطيب والنسب العريق، وذلك من البيت السابع حتى البيت الثالث والعشرين، ثم أهاب بزرعة بن ثوب أن يرد الإبل التي أخذوها، لأنه وعد قومه بأنه يرد إليهم إبلهم بأعيانها، وشمل هذا الغرض الأبيات من البيت الرابع والعشرين حتى البيت الخامس والثلاثين، ثم هجاه أشد الهجاء وأقذعه، وتهدده أن يشهر به ويتوعده، يقول المزرد[٥]:

٣٦- فبِاَسْتِ امْرِئٍ كانَتْ أَمَانيُّ نَفْسِه هجائِي ولَمْ يَجْمَعْ أَدَاةَ المُنَاجِدِ[٦]

٣٧- وَشالت زِمجَّى خَيْفَقٍ مَشَجَتْ بِه خِذاقًا وقد دَلَّهْنَهُ بالنَّوَاهِدِ[٧]

٣٨- فأَيِّه بِكَنْدِيرٍ حِمارِ ابنِ وَاقِعٍ رَآكَ بِإِيرٍ فاشْتَأَى مِن عُتائِدِ

(١) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٧٥.

(٢) لقوم: بفتح اللام للاستغاثة، وبكسرها للتعجب. والسفاهة كاسمها: أي ما يكون سفهًا يكره ويقبح، كما يقبح اسم السفاهة. العوائد: جمع عائدة، وهي النسوة اللاتي يعدن المريض.

(٣) خليف، مي (١٩٨٩) القصيدة الجاهلية في المفضليات دراسة موضوعية وفنية، ص ٧١.

(٤) حسين، محمد (١٩٤٧)، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ٦٦.

(٥) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٨٠-٨١.

(٦) يريد أن ابن داره يتمنى هجاءه ولم يستعد للنزال.

(٧) شالت: ارتفعت.

٣٩- أَطَـاعَ لَـهُ لَـسُّ الغَمِيـرِ بِتَلْعَـةٍ حمـارًا يُرَاعِـي أُمَّـهُ غيـرَ سَـافِدِ

٤٠- ولكِنَّـهُ مِـنْ أُمِّكُـم وأَبِـيكمُ كَجَـارِ زُمَيْـتٍ أَو كعائـذ زائِـدِ

٤١- فقالوا له: اقعُدْ راشدًا قال إنْ تَكُـنْ لِقَـاحِيَ لَـم تَرْجِـعْ فَلَسْتُ براشِـدِ

٤٢- أَتَذهبُ من آل الوَحِيدِ ولَـم تَطُـفْ بكُـل مكَـانٍ أَرْبَـعٌ كالخَرَائِـدِ

٤٣- وعَهدي بكُـم تَـسْتَنْقِونَ مَـشَافِرًا مِن المَحْضِ بالأَ ضياف فَـوْقَ المناضِـدِ

شكّل الهجاء غرضًا من أغراض مفضلية المزرد، ولقد كانت جرأة لسان المزرد وهجائه الفاحش من الأسباب المهمة في حنق القدامى عليه، "حيث كان هجَّاء خبيث اللسان، حلف لا ينزل به ضيف إلا هجاه ولا ينتكب بيته إلا هجاه"(١)؛ ويروي "ابن قتيبة" بأن المزرد هو: "أحد من هجا قومه، وهو ممَّن يهجو الأضياف ويَمُنُّ عليهم بما قَرَاهم به"(٢). وسبب هجاء المزرد في هذه المفضلية هو استنجاد قبيلة المزرد به، حينما ذهب رجل من بني عبد الله إلى غلام من بني ثعلبة، يقال له خالد، وللغلام إبل كرام حسان، فلم يزل الرجل يخدع خالدًا حتى اشترى الإبل منه بغنم، فرجع الغلام إلى أبويه فأخبرهما، فقالا: هلكت والله وأهلكتنا. ثم إن أبا الغلام ركب إلى المزرد وقص عليه القصة، فقال المزرد: أنا ضامن لك إبلك أن ترد عليك بأعيانها، ثم أنشد داليته(٣).

ولما كان الشاعر هو لسان قبيلته، المدافع عن مبادئها، والحامي لذويها، فإن المزرد يخاطب أعدائه قائلًا: أعلم أنك تريد مهاجاتي، وتتمنى مغالبتي، ويصفه بالضعف وعدم القدرة على مواجهته، ويؤكد أن: "ابن دارة يريد هجوي، ويجوز أن يكون مهاجاتي، وتمنى مغالبتي، ولم يستكمل آلته"(٤). ويستعجب من خلقة هذا الشخص وكأنه يريد أن يقول: "أن طائرًا شال ذنبه فألقى بذرق خلط اليابس منه بالرقيق، وألقى به دواهي، وهيج منكرات"(٥)؛ ويتهكم عليه في أخذ آرائه من الكندير، وهو حمار ابن واقع: "فأيّه بِكنْدِيرٍ حِمارِ ابنِ وَاقِعٍ"، وفي هذا المعنى كناية تحمل السخرية منه لعدم قدرته على التعقل والتفكير والتدبر في عظائم الأمور، وكأنه فاقد العقل.

(١) التبريزي، يحيى بن علي الخطيب (١٩٨٧)، شرح اختيارات المفضل، الجزء الأول ، ص٣٦٣.

(٢) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (١٩٨٢)، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الجزء الأول (القاهرة: دار المعارف)، ص ٣١٥-٣١٦.

(٣) راجع: الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (١٩٢٠)، شرح ديوان المفضليات، ص ١٢٨.

(٤) .السابق، ص ١٤٠.

(٥) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٨٠.

وظل المزرد بن ضرار يوجه إليهم الهجاء الشديد العنيف، ويتوعدهم أنه سيشهر بهم في كل مكان إن لم يردوا الإبل إلى أصحابها. ومن ثم جسدت مفضلية المزرد لحظتين لحظة الماضي وما يحمل من الغدر والنهب والخيانة، ولحظة الحاضر وما يحمل من هجاء ووعيد بالحرب والقتل. وبناء على هذا سجلت المفضلية العلاقة الاجتماعية بين الشاعر وأعدائه.

(١١)

ومن المفضليات التي كان الهجاء غرضًا من أغراضها مفضلية رقم (٥٤) للمرقش الأكبر، التي مطلعها[١]:

هَلْ بالدِّيار أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ لَو كانَ رَسْمٌ نَاطِقًا كلَّمْ

والمفضلية من نادر الشعر، ويرثي فيها المرقش الأكبر ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة، "وكان قد قتله المهلهل في ناحية "التغلمين" في أحد أيام حرب البسوس التي دارت بين حي وائل: بكر وتغلب. وكان المرقش مع ابن عمه هذا عندما قتل، ثم إنه فيما بعد طلب بدم ثعلبة فقتل رجلًا من تغلب يدعى عمرو بن عوف"[٢].

تتحدد هذه الميمية (المفضلية) في أربع حركات، فيما أعتقد، تبلور الحركة الأولى حس الانفصال المكاني والأسى الطاغي على نفس الشاعر بسبب نأي المحبوبة، ووقوفه على دارها وقد أقفرت من أهلها؛ ثم تأتي الحركة الثانية وفيها يرثي ابن عمه بصفاته وأخلاقه الحميدة؛ لتأتي الحركة الثالثة وفيها يمتدح ملك من آل جفنة، نعته بالقوة والصلابة، ونعت جيشه بالمنعة والقوة في تحقيق النصر على الأعداء. أما الحركة الرابعة فهي حركة الهجاء وتشغل ستة أبيات، يقول المرقش الأكبر[٣]:

٢٥- لَسْنا كأَقْوَامٍ مَطَاعِمُهُمْ كَسْبُ الخَنَا ونَهْكةُ المَحْرَمْ[٤]

٢٦- إنْ يُخْصِبُوا يَعْيَوْا بِخِصْبِهِمِ أَو يُجْدِبُوا فهُمْ بِهِ أَلْأَمْ[٥]

٢٧- عامَ تَرَى الطَّيْرَ دَوَاخِلَ فِي بيُوتِ قَومٍ مَعَهُمْ تَرْتَمْ[٦]

٢٨- ويَخْرُجُ الدُّخَانُ من خَلَلِ السِّتْرِ كلَوْنِ الكَوْدَنِ الأَصْحَمْ[٧]

(١) السابق، ص ٢٣٧.

(٢) النفاخ، أحمد راتب (١٩٨٠)، مختارات من الشعر الجاهلي، اختارها وعلق عليها: أحمد راتب النفاخ (دمشق: مكتبة دار الفتح)، ص ١٧٦.

(٣) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٢٤٠.

(٤) الخنا: الفساد. نهكة المحرم: انتهاك الحرم.

(٥) يريد أن الخصب يطغيهم، والجدب يكشف عن لؤمهم.

(٦) ترتم: من الارتمام، وهو الأكل.

(٧) الكودن: البرذون البطيء السير. الأصحم: الأسود ليس بشديد السواد فيه صفرة، أراد أنهم يسترون النار.

٢٩- حتَّى إذا مـا الأَرضُ زَيَّنَهَـا الـــ نَّبْـتُ وجُـنَّ رَوْضُـهَا وأَكَـمْ[١]

٣٠- ذَاقُـوا ندامـةً فلـو أَكَلُـوا الـــ خُطْبَـانَ لـم يُوجَـدْ لـهُ عَلْقَـمْ[٢]

يهجو المرقش الأكبر أعداءه، الذين قتلوا ابن عمه ثعلبة بن عوف، هجاء لاذعًا، فيعايرهم بالكسب الحرام، وأنه ليس مثلهم يهجو الناس ليعطوه المال، وأنه متفرد بخصاله الحميدة، ويستمر في وصفه لهم بانتهاك الحرمات، والفحش والطغيان عند الغنى والطمع عند الفقر، كما يصفهم بأن الخصب يطغيهم وأن الجدب يكشف عن لؤمهم؛ ويهجوهم أيضًا بأنهم أهل البخل الذي يدفعهم إلى إخفاء نارهم حتى لا تظهر من بيوتهم ويجتمع إليهم الفقراء والجوعى، "فمن جودة هذا الهجاء أن الشاعر تعمد به أضداد الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم، لأن الغدر ضد الوفاء، والفجور ضد الصدق، والبخل ضد الجود"[٣].

ويفخر المرقش بأنه من قوم كرام تدخل الطير بيوتهم لتأكل فيها وقت الجدب، ثم يصف أعداءه بأنهم أصحاب القلوب السوداء التي تعج بالحقد والسواد، وفي صدورهم من العداوة "ما لو أكلوا معه الحنظل ما وجدوا له مرارة"[٤]؛ والشاعر في هذا الموضع يلح على أهمية القيم الخلقية والاجتماعية التي يتحلى بها قومه، وإنما يرجع ذلك إلى الانتماء والعصبية القوية للقبيلة، "وقد اعتمد الشعر في معظمه الهجائي منه والحماسي على العصبية وعلى القيم الخلقية والاجتماعية، كالكرم والشجاعة والوفاء للجار واتصال السؤدد في الأجداد وعزة الأهل ومنعة القبيلة وشدة بطشها"[٥].

(١٢)

تنطوي مفضلية رقم (٦٤) لعَمِيرَة بن جُعَل على غرضين أساسين وهما الطلل والهجاء، وكأن الغرض الأول (الطلل) يحيل إلى الغرض الثاني (الهجاء) ويشير إليه. إن عميرة في تلك المفضلية "أراد أن يهجو رجلين أسماهما في البيت السابع، وأن يتوعدهما بالسلاح. فبدأ بالحديث عن أطلال الحي.... ثم دفع إلى غرضه من الهجاء والتوعد، ثم عيرهما بأن قومهما كانوا عبيد قومه في شدة الزمان"[٦]، يقول عميرة[٧]:

(١) جن النبت: علا وطال والتف. أكم: صار في أكمامه.

(٢) الخطبان: بضم فسكون، الحنظل. العلقم: المر. يقول في صدرورهم من العداوة ما لو أكلوا معه الحنظل ما وجدوا له مرارة.

(٣) حسين، محمد (١٩٤٧)، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ٨.

(٤) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٢٤٠.

(٥) حسين، محمد (١٩٤٧)، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ٦٦.

(٦) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٢٥٨.

(٧) السابق، ص ٢٥٨-٢٦٠.

١- أَلاَ يَـــا دِيَـــارَ الحَـــيَّ بِـــالبَرَدَانِ		خَلَـــتْ حِجَـــجٌ بَعْـــدِي لَهُـــنَّ ثَمَـــانِ[١]

٢- فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَـا غَيْـرُ نُـؤْيٍ مُهَـدَّمٍ		وغَيْـــرُ أَوَارٍ كَـــالرَّكِيِّ دِفَـــانِ[٢]

٣- وغَيْرُ حُطوبـاتِ الوَلَائِـدِ ذَعْـذَعَتْ		بِهـا الـرِّيحُ والأَمْطـارُ كـلَّ مَكـانِ[٣]

٤- قِفـارٌ مَـرَوْراةٌ يَحـارُ بِهـا القَطـا		يَظَـلُّ بِهـا الـسَّبْعانِ يَعْتَرِكـانِ[٤]

٥- يُثِيرَانِ مِنْ نَـسْجِ التُّـرَابِ عَلَيْهِمـا		قَمِيـصَيْنِ أَسْـماطًا ويَرْتَـدِيانِ[٥]

٦- وبالشَّرَفِ الأَعْلَـى وُحُـوشٌ كَأَنّهـا		عَلَي جَانِـبِ الأَرجَـاءِ عُـوذُ هِجـانِ[٦]

٧- فَمَـنْ مُبْلِـغٌ عَنِّـي إِياسًـا وجَنْـدَلًا		أَخَـا طَـارِقٍ والقَـوْلُ ذُو نَفَيـانِ[٧]

٨- فَلَـا تُوَاعِـدَانِي بالـسِّلَاحِ فَإِنَّمـا		جَمَعْـتُ سِـلَاحي رَهْبَـةَ الحَـدَثَانِ

٩- جَمَعْـتُ رُدَيْنِيًّـا كَـأَنَّ سِـنانَهُ		سَـنَا لَهَـبٍ لَـمْ يُـسْتَعِنْ بِـدُخَانِ[٨]

١٠- لَيَـالِيَ إِذْ أَنْـتُمْ لِرَهْطِـيَ أَعْبُـدُ		بِرَمَّـانَ لَمَّـا أَجْـدَبَ الحَرَمَـانِ[٩]

١١- وإِذْ لَهُـمُ ذَوْدٌ عِجَـافٌ وَصِـبْيَةٌ		وإِذْ أَنْـتُمُ لَيْـسَت لَكُـمْ غَنَمَـانِ[١٠]

١٢- وجَدَّاكُما عَبْدَا عُمَيْـرِ بْـنِ عَـامِرٍ		وأُمَّاكُمَـا مِـنْ قِيْنَـةٍ أَمَتَـانِ[١١]

يمثل نص عميرة بن جعل بنية متنامية لنص الهجاء، حيث يهجو فيها رجلين أسماهما إياسًا وجندلًا وهو يتوعدهما بالقتل والسلاح. يبدأ النص بالحديث عن أطلال الحي ، هذا التية المكاني الذي يظل المحور الأساسي للقلق والتوتر الذي جسده موضع الديار بالبردان، وكيف مضت عليها السنون فعفت آثارها، ولم تبق بها غير النؤى والأواري الدارسات ومواضع الحطب. وكيف أن هذه الديار أصبحت قفرًا موحشًا لم يسكنه بشر، بل أصبح مرتعًا للسباع يتعاركن ويتهارشن فيه، أو بعبارة أخرى: إن الديار التي وقف بها

(١) البردان: موضع.

(٢) النؤي: الحاجز حول الخباء. الأواري: جمع آري، وهو ما حبس الدابة من وتد ونحوه. الركي: جمع ركية، وهي البئر. دفان: مندفنة، واحدها دفين.

(٣) الولائد: الإماء. الحطوبات، جمع حطوبة، وهو ما احتطب الإماء وجمعن. ذعذعت: فرقت.

(٤) المروارة: التي لا تنبت شيئًا ولا ماء فيها. يحار بها القطا: لبعدها. السبع: المفترس من الحيوان. يعتركان: يلتمس كل واحد منهما أكل صاحبه من الجدب.

(٥) الأسماط: الأخلاق، أي البالية. والأسماط بهذا المعنى ليست في المعاجم.

(٦) الشرف: المرتفع من الأرض. الأرجاء: النواحي، واحدها "رجا" بالألف. العوذ: الإبل التي معها أولادها. الهجان: الكرام.

(٧) ذو نفيان: يتفرق ههنا وههنا.

(٨) الرديني: الرمح. بدخان: إذا لم يستعن بدخان كان أصفى له.

(٩) رمان: بفتح الراء، بلد بين غني وطيء.

(١٠) الذود: الثلاث من الإبل إلى العشر. غنمان: أراد قطعتي غنم، قطعة ههنا وقطعة ههنا.

(١١) قينة: الأمة.

هي ديار قد خلت من أهلها منذ ثماني سنوات، هذه الفترة ربما لا تكون كافية لتدمير معالم الديار التي لم يبق منها سوى نؤى مهدمة وآثار هذيلة. إن عميرًا يريد أن ينقل إلينا شعوره بقوة الخراب والقوة التدميرية في الطلل، فقد زعزعت الرياح والأمطار كل مكان مثلما زعزعت (حطوبات الولائد)، وعلى الرغم من أن حطوبات الولائد تشير إلى الجهد البشري في صناعة الحياة والمجاهدة في استمرارها، فإنه لا يتنامى في النص، ويتحول المكان إلى مكان موحش قفر تحار فيه القطا، وقد ذكر الشارح القديم بأنه: "ليس في الطير أهدى من القطاة، فإذا حار في مكان كان أشد حيرة لغيره"(١).

لقد انتهت المقدمة الطللية في هذه اللحظة وقد حسمت المصير الذي تطرق إليه الطلل وهو انتشار الخراب والموت، وكأن عميرة بن جُعل يمهد لعملية الهجاء. ومن ثم اندفع الشاعر إلى غرضه الرئيس الثاني، وهو الهجاء والتوعد لرجلين (إياس وجندل)، يتوعدهما بالسلاح والقتل مستعينًا بأدواته في قتالهم، "وكأنه يقول لهم لا تواعداني سلاحكما، فإنما جمعت سلاحي لكما ولأمثالكما، والمعنى إني مستعد لأعدائي"(٢). لقد شرع عميرة في وصف السيف والرمح والسنان كما شبه السنان في صفائه، بصفاء لسان النار، أو بعبارة الشارح القديم: "شبه سنان الرمح في إشراقه، بضوء نار لا دخان لها"(٣)، ثم وصف نفسه وقومه بالقوة وأنهم ذو جاه وسلطان ولذا عيرهما بأن قومهما كانوا عبيد قومه في شدة الزمان، وإن أجدادهم كانوا من طبقة العبيد وكانت أمهاتهم من الإماء. إن عميرة يصنع الحياة بالهجاء في عملية تمحو آثار الطلل الخرب.

(١٣)

ومن المفضليات، التي يمتزج فيها غرض الهجاء بغرض وصف الخمر وكأنهما وجهان لعملة واحدة، مفضلية رقم(٧٢) لعبد المَسيح بن عَسَلَة، التي يقول فيها(٤):

١- يا كَعْبُ إنَّكَ لو قَصَرْتَ عَلَي حُسْنِ النِّدام وقَلَّةِ الجُرْمِ

٢- وسَماعِ مُدْجِنَةٍ تُعَلِّلُنَا حتَّى نَؤُوبَ تَناوُمَ العُجْمِ(٥)

٣- لَصَحَوْتَ والنّمَرِيُّ يَحْسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخالَةَ النَّجْمِ(٦)

(١) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٢٥٩.

(٢) الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (١٩٢٠)، شرح ديوان المفضليات، ص ٥٢٢

(٣) التبريزي، يحيى بن علي الخطيب (١٩٨٧)، شرح اختيارات المفضل، الجزء الثالث ، ص ١١٥٢.

(٤) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٥) تعللنا: تلهينا بصوتها.

(٦) النمري: هو كعب، وهذا من بديع الالتفات، يقول: لصحوت وأنت تحسب هذه القينة في عظم قدرها عما للسماك وخالة للثريا.

٤- هَلْهِلْ لِكَعْبٍ بعدَ ما وَقَعَتْ فَوْقَ الجَبِينِ بِمِعْصَمٍ فَعْمِ[١]

٥- جَسَدٌ بِهِ نَضْحُ الدِّماءِ كما قَنَأَتْ أَنَامِلُ قَاطِفِ الكَرْمِ[٢]

٦- والخمرُ لَيْسَتْ مِنْ أَخِيكَ ولَكِنْ قَدْ تَخُونُ بآمِنِ الحِلْمِ

٧- و تُبَيِّنُ الرَّأَى السَّفِيهَ إذَا جَعَلَتْ رِياحُ شَمُولها تَنْمِي[٣]

٨- وأَنَا امْرُؤُ مِنْ آلِ مُرَّةَ إنْ أَكْلِمْكُمُ لا تُرْقِئُوا كَلْمِي[٤]

ونسب "الآمدي" هذا الشعر إلى حرملة بن عسلة في المؤتلف والمختلف[٥]، لكن لا يعنينا في هذا السياق التحقق من نسبة النص إلى قائله، وإنما يعنينا فعليًا قصيدة الهجاء في المفضليات، وربما كان الشارح للمفضليات محقًا عندما ذكر: "وسواء أكان حرملة وعبد المسيح أخوين أم كانا أسمًا لرجل واحد، فإن قائلها يعتب على كعب النمري أن يكون لا يحسن المنادمة على الشراب، حتى يضربه صاحب القينة فيدميه. ثم أظهر له ما في الخسر من ذهابها بلب شاربها، وتوعده ومن معه أن يهجوهم هجاء تتحمله الرواة، ويتناشده الناس"[٦].

يقسو عبد المسيح بن عسلة في هجاءه على كعب لأنه عكر صفو مجلس شربه، حيث كانوا لا يزالون يشربون الخمر إلى وقت السحر، الذي بدأ بصياح الديك، وتتشابك في مفضليته أبعاد الهجاء مع أبعاد التهديد والوعيد، أو بعبارة "كمال أبو ديب": "يشكل النص محاجة من نمط ذهني خالص، فهو يتوجه إلى "كعب" قائلًا أنه لو اقتصر على متعة الشرب والتسلية وسماع المغنية الجميلة لوصل من نشوته إلى الذروة فأصبح يحب المغنية (عم السماك وخالة النجم) بهذه الصيغة البارعة في تجسيدها لاختلاط لحظة النشوة وإلغاء الحدود الفاصلة بين الأشياء فيها، حيث تصبح الأنثى "عمًا" و"خالة" في آن واحد. لكن لحظة الشرب الخالصة هنا لم تكتمل، بل أفسدها سلوك كعب فسقطت على جبينه ضربة "معصم فعم" ملئ بالقوة والنشوة والحمية والحياة. وانفجر الدم ينضج به جسد كعب"[٧].

(١) هلهل لكعب: رد عنها كعبا حيث لا يصبر عنها. المعصم: السوار. الفعم: الريان الممتلىء.

(٢) الجسد: بفتح السين وكسرها، الدم اليابس. قنأت: اشتدت حمرته. يعني أنه جرح فأصابه الدم فتلزج به واسود من حمرته.

(٣) يقول: إذا طابت لهم زينت لهم القبيح. الشمول: الخمر. تنمي: تزيد.

(٤) أُكلمكم: أجرحكم. لا ترقئوا: لا تقطعوا الدم. يكنى بالكلم والدم عن الهجاء، وإنه إن هجاهم ذاع شعره.

(٥) راجع: الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (١٩٩١)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، صححه وعلق عليه: ف. كرنكو، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجيل)، ص ٢٠٤.

(٦) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩)، المفضليات، ص ٢٧٨.

(٧) أبو ديب، كمال (١٩٨٦)، الرؤى المقنعة: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، ١- البنية والرؤية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص ٥٩٨.

تتحدث المفضلية عن الخمرة التي تخون الحلم الآمن فتفضحه، وتكشف الرأي السفيه حين تهب رياحها. وتعد صورة الدم والخمرة، هي البؤرة المركزية التي ينطلق من خلالها الشاعر ويندفع بالهجاء وهذا ما جسده دال: "لا ترقئوا"، الذي يكنى بالكلم والدم عن الهجاء، ويتوعدهم بهجائه القوي الذي إذا هجاهم ذاع شعره ولم ينقطع ذكره.

(١٤)

توجهت هذه الدراسة إلى معاينة قصيدة الهجاء في المفضليات، فعرضت في بدايتها تعريفاً موجزًا لفن الهجاء في الأدب العربي القديم، وعمدت بعد ذلك إلى موضوع دراستها وهو قصيدة الهجاء في المفضليات، ورصدت الدراسة، من خلال فحص قصيدة الهجاء في المفضليات، مسارين، كان المسار الأول يضم مفضليات يعد الهجاء غرضها أو محورها الرئيس، ثم جاءت مفضليات المسار الثاني الذي يعد الهجاء غرضًا من أغراضها. وقد تناولت هذه النماذج من المسارين بالدراسة والفحص طبقا لمقاربة سياقية، تستهدف النواحي الاجتماعية والنفسية والتاريخية للنص. وإن كان توجه هذه الدراسة إلى فحص قصيدة الهجاء في المفضليات، فإنها تحفز على دراسة أغراض أخرى في المفضليات وتوصي بها، مثل: الطلل والرحلة والمدح والحكمة والفخر وغيرها من أغراض الشعر العربي.

ببليوجرافيا

- **الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (١٩٩١).**
المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، صححه وعلق عليه: ف. كرنكو، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجيل).
- **إسماعيل، عز الدين (١٩٩٤).**
المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي (القاهرة: مكتبة غريب).
- **الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (١٩٢٠).**
شرح ديوان المفضليات، عني بطبعه ومقابلة نسخة وتذيله بحواشي وروايات لعدة لغويين وعلماء: كارلوس يعقوب لايل (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، على نفقة كلية أُكسفرد).
- **البغدادي، عبدالقادر بن عمر (١٩٨٣).**
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الجزء السابع والعاشر، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الخانجي).
- **التبريزي، يحيى بن على الخطيب (١٩٨٧).**
شرح اختيارات المفضل، تحقيق: فخر الدين قباوة، الجزء الأول والثالث، الطبعة الثانية (لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية).
- **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٩٦٥).**
كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الجزء الأول، الطبعة الثانية (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي).
- **ابن جعفر، أبو الفرج قدامة (بدون تاريخ).**
نقد الشعر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي (لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية).
- **الحاوي، ايليا سليم (١٩٥٩).**
ابن الرومي: فنه ونفسيته من خلال شعره (بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني).
- **حسين، محمد (١٩٤٧).**
الهجاء والهجاءون في الجاهلية، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الآداب بالجماميز).

- **ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (١٩٩٦).**
التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عباس وبكر عباس، المجلد الخامس، الطبعة الأولى (بيروت: دار صادر).
- **خليف، مي (١٩٨٩).**
القصيدة الجاهلية في المفضليات دراسة موضوعية وفنية (القاهرة: مكتبة غريب).
- **خليف، يوسف (١٩٧٧).**
تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي، الطبعة الأولى (القاهرة : دار الثقافة).
- **أبو ديب، كمال (١٩٨٦).**
الرؤى المقنعة: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، ١- البنية والرؤية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب).
- **ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي (١٩٨١).**
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وعلق حواشيه وفصله: محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الثاني، الطبعة الخامسة (لبنان، بيروت: دار الجيل).
- **الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني (٢٠٠١).**
تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الأربعون، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، راجعه: عبد اللطيف محمد الخطيب (الكويت: سلسلة التراث العربي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطبعة حكومة الكويت).
- **الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (١٩٩٨).**
أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الجزء الثاني، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية).
- **الشايب، أحمد (١٩٥٤).**
تاريخ النقائض في الشعر العربي، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر).
- **الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (١٩٧٩).**
المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، الطبعة السادسة (القاهرة: دار المعارف).
- **ضيف، شوقي (١٩٦٠).**
العصر الجاهلي، الطبعة الثانية والعشرون (القاهرة: دار المعارف).

- **عروس، محمد (٢٠١٩).**
النقد السياقي: أسئلته المنهجية وأسسه الفلسفية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد ٨، عدد ١، رقم العدد التسلسلي ١٦ (الجزئر: جامعة تامنغست).
- **العسكري، أبو هلال (١٩٩٤).**
ديوان المعاني، شرحه وضبط نصه: أحمد حسن بسج، الجزء الأول، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية).
- **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (١٩٨٢).**
الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الجزء الأول (القاهرة: دار المعارف).
- **القيسي، نوري حمودي (١٩٨١).**
تقويم جديد لظاهرة الهجاء في الشعر العربي قبل الإسلام، مجلة الآداب، مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب جامعة بغداد، العدد ٣٠ (العراق، بغداد: كلية الآداب، جامعة بغداد).
- **محمد، سراج الدين (١٩٩٨).**
الهجاء في الشعر العربي (لبنان، بيروت: دار الراتب الجامعية).
- **المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٢٠٠٥).**
معجم الشعراء، تحقيق: فاروق اسليم، الطبعة الأولى (بيروت: دار صادر).
- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٥٥، ١٩٥٦).**
لسان العرب، المجلد الخامس عشر (لبنان، بيروت: دار صادر).
- **النفاخ، أحمد راتب (١٩٨٠).**
مختارات من الشعر الجاهلى، اختارها وعلق عليها: أحمد راتب النفاخ (دمشق: مكتبة دار الفتح).
- **هارون، عبد السلام (١٩٦٧).**
مقدمة شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القسم الأول، الطبعة الثانية (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر).